الموت والمصير بين العقيدة الرافدينية والعقيدة المندائية

زمن أحمد عباس الخيكاني

أ.د. غسان عبد صالح

جامعة بغداد/ كلّية التربية/ ابن رشد للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ/ تخصص تاريخ قديم

الموت والمصير بين العقيدة الرافدينية والعقيدة المندائية

زمن أحمد عباس الخيكاني

أ.د. غسان عبد صالح

الملخص

لقد اعتبر انسان وادي الرافدين قديماً، الكون عبارة عن دولة كونية، وكل مافيه – اي الكون – كان يعد عبارة عن ذوات فردية، فكل حي وجماد وفكرة مجردة وكل حجر وكل شجرة وكل خاطر يتمتع بارادة ذاتية وشخصية خاصة. لقد تمثل الكون في ذهن الانسان بهيئة واحدة الا وهي نظام من الارادات، فالكون ككل منسق انما هو مجتمع، او دولة. فكانت هذه الدولة الكونية تضم الى جانب الشخصيات الفعالة في هيئة الحكم اعضاء لم يكن لهم نفوذ في السياسة ولا دور لهم في الحكومة ومنهم على سبيل المثال الانسان. فقد كانت مكانة الانسان في دولة الكون توازي بالضبط مكانة العبد في دولة المدينة البشرية.

كلمات مفتاحية: الموت، المصير، العقيدة الرافدينية، العقيدة المندائية.

Death and Fate between the Mesopotamian Creed and the Mandaean Creed

A Thesis By

Zaman Ahmed Abbas

Supervised by

Prof. Ghassan Abd Saleh, Ph.D.

Summary

The ancient Mesopotamian man considered the universe to be a cosmic state, and everything in it - that is, the universe - was considered to be individual selves. The universe was represented in the mind of man in one form, which is a system of wills. The universe as a whole is coordinated, but it is a society, or a state. This cosmic state included, in addition to the effective personalities in the governing body, members who had no influence in politics and had no role in the government, including, for example, the human being. The position of

man in the state of the universe was exactly parallel to the position of the servant in the state of the human city.

Keywords: death, destiny, Mesopotamian belief, Mandaean faith

اولاً: فكرة الموت في العقيدة الرافدينية

لقد تميز كون وادي الرافدين بالحركة والحيوية، لأنه تمتع بالتعاون في ما بين الارادات المحلية لمناصب الدولة الكونية، وتكيف الواحدة بموجب الاخرى، وفي تجميع قواها للعمل معا في القضايا التي تهم المجموع العام. ولتجميع الارادات والقوى، يعقد الكون اجتماعاً عاما للمواطنين كافة ويرأس آنو [١] الاجتماع ويسير فيه النقاش لأتخاذ القرارات الخطيرة بشأن مصائر البشر وكل ما في الحياة، وقبل اتخاذ القرار يتم مناقشته وبحثه الى ان يتبين الرأي الغالب، ثم تتم الموافقة عليه من قبل الآلهة ويتم تنفيذها من قبل انليل [٢]، وبهذا فقد اعتبرت سلطة الآلهة غير المحدودة على الانسان، من اول واخطر انواع السلطات التي عرفها الانسان وينضوي تحت هذا السلطان ملك والفلاح على حد سواء [٣]، واية ذلك القول جاء على لسان احد الملوك حيث يصف كيف انه احد الذين قدرت الالهة لهم مصيرا جيداً [٤]. وقد اعتقد انسان وادي الرافدين بان الالهة مثلما تخلق الحياة الجيدة، تخلق الحياة الرديئة ايضا، فقد جاءت في ملحمة كلكامش حديث ننسون والدة كلكامش مع الالهة شمش تلومه بقولها " **علام اعطيت والدي قلباً مضطربا لا يستقر ؟ الان حثثته فاتزم سفرا بعيداً على موطن خمبابا**" [٥]. اي انه لم يذهب بارادته، بل بارادة الآلهة وقضاءها لأن الانسان كما رأينا لم يكن له دور في الدولة الكونية وان الالهة قد اوجدت الأنسان لمنفعتها بوجه خاص وان غايته ليس الا خدمة الالهة [٦] ففي اسطورة الخليقة خلق الانسان بعد ان نطق الاله مردوخ الخالق عرضاً : ليتحمل – يقصد به الانسان – كدح الالهة حتى نستطيع التنفس بحرية، ومثل هذه النظرة نجدها في اسطورة سومرية اكثر قدماً تقول : ان انليل شق الأرض بفأس حتى ينبثق الناس منها كالنبات ثم تحيط الالهة الاخرى بـ (انليل) يرجونه ان يخصص لهم خدماً من السومريين الذين يطلعون من الارض [٧]. هكذا قضت الالهة بخلق الانسان تلك الالهة التي كانت تجتمع كما ذكرنا كل سنة وفي مطلع كل عام وفي عيد الاله مردوخ البابلي في مجلس خاص وتحدد المصائر للسنة كلها[٨]. لقد اعتقد انسان وادي الرافدين بان تحقيق الشئ يتم من خلال النطق بأسم الشئ فـ اسطورة الخليقة[٩] تبدأ بالتأكيد على انه في البدء لم يكن هناك سوى الهبولي – اي المياه الأزلية – أبسو[١٠] وتيامة[١١] ولم يكن هناك شئ له اسم. عندما كانت السموات من فوقنا بلا اسماء ولم يكن تحتها من مسكن يدعى بالاسم، لم يكن لأي شئ اسم ما.

وما دام لم يكن اي شئ يمتلك اسم فانه لم يكن في الوجود. فالعبارة الاكدية التي تقول (كل شئ يحمل اسماً) تشير الى الشمول العام [١٢] هكذا فبدون ان ينطق باسم الشئ سيكون الشئ في حيز العدم،

اما حين تنطق الالهة باسم الشئ فانه سيظهر الى حيز الوجود، وهذا ما حدث في خلق العالم والانسان كما اشرنا فيما مضى، حيث قضت الالهة بخلقهما فنطقت بذلك فخرج من حيز الكون كلا من العالم والبشر وتحقق الوجود بارادة الالهة وقضاءها، وكما انها الالهة – قد قضت بالحياة للانسان فانها قد قدرت عليه الموت ايضاً. وقد آمن سكان وادي الرافدين بمصيرهم المأساوي هذا – اي الموت – واعتبروا الموت امراً حتمياً وقانونا طبيعياً وضعته الالهة لهم عندما اوجدتهم، فقد قيل بان الالهة وحدها خالدة، اما الانسان فموته أمر لا مهرب منه ويستوجب الرضا، وحدها الالهة تعيش ابدا تحت الشمس واما الانسان فايامه معدودة او مهما صنع فما هو الا ريح تهب (١٣)

كما يمكننا ان نتلمس هذه الحقيقة – اي قدرية الموت – في التعابير التي كان البابليون يستخدمونها عندما يتحدثون عن موت احد ما فيقولون (ذهب الى المصير)، او ضمه الهه (او اخذه اليه)، وقد تعددت الاشارات في ادب بلاد وادي الرافدين الى حتمية الموت ويذكر منها ما ورد في ملحمة كلكامش ضمن حديث طويل على لسان اوتو – نبشتم جاء فيه :

إن الموت قاس لا يرحم

هل بنينا بيتاً يقوم الى الأبد ؟

وهل ختمنا عقداً يدوم الى الأبد ؟

ثم يستطرد بقوله :

ولم يكن دوام وخلود منذ القدم (١٤)

وقد حاول فيه اوتو – نبشتم ان يبرهن لـ (كلكامش) على حتمية الموت وانتفاء الخلود بمنطق هو المنطق الذي كان راسخاً في الفكر العراقي القديم بخصوص الموت والذي استنبط من واقع الحياة وحقيقة الموت، هذا بالاضافة الى ان الموت كان يعد من اقسى المحتمات على الانسان (١٥)

لكن هذا لا يعني بان انسان وادي الرافدين كان انسان جبرياً، تحكمه الأقدار من جميع النواحي، فنظام القدر لديهم لم يكن شريعة تنظم التفاصيل وعلى نطاق العالم كله، بل كان يترك حيزاً كبيرا نسبياً الى مبادرة الأنسان ومسؤوليته، ولهذا لا يظهر ابدا في الفكر البابلي صورة القدرية المطلقة، فالانسان كان يخضع لثلاثة انواع من النفوذ او السلطات، فهو اولاً يخضع الى قرارات القدر التي لا ترد والتي تحددها الالهة والتي ترسم الخطوط العريضة للوجود، وثانياً هو خاضع الى وصاية الملك التي يفرضها على رعاياه، وهذه الوصاية تضاف الى الوصاية الالهية وتكون تابعة لها، واخيراً فهناك القوى الشريرة المتوحشة

السرية التي هي الشيطان، وهي دؤوبة في رصد الانسان وتستطيع التدخل في حياته (على هيئة مرض في الأكثر) وهذه السلطة ليست مرتبطة بالقدر ولكن معارضة لهم، لذلك فمن خطأ الرأي الاعتقاد بأن سكان وادي الرافدين كانوا مسحوقون تحت ارادة مطلقة لا راد لها [١٦]، فهذا كلكامش يقرر بعد موت انكيدو الرحيل الى جدها اوتو– نبشتم ليسأله عن الطريقة التي تمكنه من الحصول على (الحياة الأبدية)، والتخلص من الموت حين يصحوا فجأة على المأساة الحقيقية في حياة الأنسان، ويهيم على وجهه في الصحاري والبراري مخلفاً العرش والملك وراءه باحثاً عن الخلود وأكسير [١٧] الحياة يدفع به قدر الانسان الفاني، فهو بالرغم من تكوين ثلثه الالهي فان نسبة التركيب البشري يشده نحو المصير المشترك لجميع البشر [١٨]

بعبارة اخرى، فأن الموت كان يصيب حتى اولئك الملوك الذين حظوا بالتقديس والتأليه من قبل رعاياهم وقد كتبت اسماء اغلبهم مسبوقة بعلامة الألوهية (Ω Dingier : ilu.) [١٩] الخاصة باسماء الالهة في الكتابات القديمة[٢٠]

بهذا فالحياة في وادي الرافدين تقطع كالقصبة، وان الذي يحيا في المساء قد يموت في الصباح، وبالرغم من قناعة العراقيين كانت تشير بانه لا يمكن للانسان ان يستمر في حياته الأرضية اكثر من الموعد الذي قدرته الآلهة فانهم كانوا على قناعة ايضاً بان الأنسان قد يتعرض للموت قبل ذلك الموعد حيث وردت بعض الاشارات في النصوص القديمة ان بعض الناس ماتوا في وقت لم يكن يوم مصيرهم [٢١].

خلاصة القول ان الأقدار او المصائر تمثل مزيداً من التأكد على الوجود الألهي في كل مكان وعلى سيادة النظام المقرر، وكما قال مردوخ نفسه، كانت مصائر بابل تلزم مجمع الالهة بان يعتبر ما يتعهد به غير قابل للتغيير، وان ما تنطق به شفتاه ثابت لا يتبدل [٢٢]، وهذا يدل على ان الانسان مسير في الأمور التي قدرتها الالهة له كالحياة والموت والنوم، لكنه مخير في الأمور الأخرى كفعل الخير والشر.

ثانياً : الخلود

رأينا كيف ان انسان وادي الرافدين امن بخلود الالهة وفناء الانسان وهناك العديد من النصوص السومرية والبابلية تؤكد على البون الشاسع بين الالهة والبشر في الجوهر والمنزلة، فأصل الالهة يرجع الى المياه الازلية الاولى ايو وتيامة بينما خلق الانسان وعلى يد الالهة العظام من طين ممزوج بدم احد الالهة الذبيحة، واهم من ذلك فان الالهة احتفظت لنفسها بالخلود، بينما جعلت الموت من نصيب البشر.

اذن فلا مفر للانسان من الموت فهو يلاحقه دائما حتى يقبض عليه في نهاية المطاف، ولكن مع استسلام الانسان لحتمية الموت في بلاد وادي الرافدين واعتقاده الراسخ بان الخلود للالهة فقط، فاننا نجد

ان هناك تطلعات للنفس البشرية نحو الخلاص من شبح الموت [٢٣] وقد وجدت العديد من الملاحم والاساطير والقصص قد تناولت هذه الافكار ومنها ملحمة كلكامش واسطورة ادابا، فكلاهما يؤكدان على قدرية الموت وخسران الحياة الدائمة للبشر، فوادي الرافدين قد ادرك منذ البدء بان الانسان قد قدر عليه الموت مع امكانية تحقيق الخلود من خلال ما يقدمه من اعمال وبطولات تشهد على مدى قوته وعظمته وبهائه [٢٤]، فهذا كلكامش يذكر انكيدو الذي اخافته المغامرة نحو غابات الارز بقوله: لقد صرت تخشى ونحن ما زلنا هنا، فماذا دهى قوة بطولتك، ثم يقول له دعني اذن اتقدم قبلك ولينادني صوتك تقدم ! ولا تخف ! واذ ما هلكت فساخذ لي اسماً، وسيقولون عني من بعد ان تولد الاجيال الاتية فيما بعد: لقد هلك كلكامش في نزله مع خمبابا المارد [٢٥] هكذا فقد كان انسان وادي الرافدين ممثلاً بكلكامش يعتقد بانه طالما كان قويا فانه سيموت ميتة مشرفة، تخلد اسمه كالسقوط في ساحات القتال. وهنا فالموت في نظر كلكامش لا يشكل اي خوف او رعب انه جزء من اللعبة والشهرة تلطف من حدته، لأن المرء يبقى حياً في الأجيال القادمة، غير ان كلكامش لم يعرف الموت عندئذ الا كأمر مجرد، ولم يكن قد مسه الموت مباشرة بحقيقته الرهيبة الى ان يموت انكيدو، فيدرك ما لم يدركه من قبل [٢٦] وهو ان الانسان مهما بلغ من قوة وجبروت فانه سوف يلاقي حتفه عاجلا ام آجلاً [٢٧]. وقد يحدث له في مكان بعيد عن ساحات الوغى والنزال فيموت دون ان يخلف وراءه اسما سيخلده كـ "انكيدو" الذي يقول لصديقه كلكامش على فراش الموت "يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة فلن اموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى كنت اخشى القتال (ولكن) من يسقط في القتال ياصديقي فانه مبارك أما انا فسأموت ذليلا حتف انفي" [٢٨] وهذا الذي ارعب كلكامش فلم يصدق ان صاحبه انكيدو قد مات حقاً، اذ كيف يمكن ان يموت وهو القوي الجبار الذي تحمل معه اعباء الأسفار ونازل معه خمبابا والثور السماوي، الأمر الذي ولد في نفسية البطل كلكامش الارتباك والحيرة لأنه ادرك انه سيموت كصديقه وحيداً، فراح يتسائل "هل يمكن ان يختفي وهو مثلما اختفى صديقه المخلص انكيدو؟ ام بوسعه تخطي المصير المرعب للبشر؟ لنيل الخلود [٢٩] الذي كان يعني بالنسبة لـ "كلكامش" البقاء المادي في الحياة وعدم ملاقاة الموت التي لم تتفجر عنده الا بعد موت انكيدو وتمثلت كرد فعل مباشر على تلك الحادثة [٣٠] وهنا تبدء رحلة الصراع بين ارادة الانسان وبين قدرية الموت ولن توقفها كل الصعاب والالام حيث نرى "كلكامش" بكل اصرار فتش الأرض بحثا عن علاج سحري ضد الموت [٣١] كما انه يتذكر جده اوتو– نبشتم الذي منحته الالهة الخلود لانقاذه نسل البشرية من الفناء، ليسأله عن سر الحياة والموت، حيث يرد في "ملحمة كلكامش" قول البطل "اتيت قاصدا ابي، اوتو – نبشتم، جئت لأسأله عن (لغز) الحياة والموت " [٣٢] ورغم التحذيرات الذي حذرها له من يصادفه في طريقه الا انه لا يعبأ لها حيث يجيب محذريه بقوله "عزمت على ان اذهب بالحزن والالام، وفي البرد والحر وفي الحسرات والبكاء... كما يقابل ايضاً سيدوري صاحبة الحانة التي كانت

مدركة لحقيقة الموت فنصحته ان يتمتع بمباهج الحياة واخبرته عن عبث مسعاه، الا ان كلامها لم يؤثر فيه فيقول لها " دليني كيف اتجه اليه ؟ فاذا امكنني الوصول اليه، فانني حتى البحار سأعبرها [٣٣].

لقد كان خوف كلكامش من الموت ورغبته بـ (الحياة الدائمة) اقوى من جميع النصائح التي نصح بها اثناء رحلته الطويلة التي توجها برؤية جده اوتو – نبشتم الذي فاجأته رؤيته اذ وجده ضعيف البنية مضطجعاً على ظهره لا يتمتع بالقوة والبأس فقال له : لقد تصورك قلبي بطلا على أهبة القتال فأذا بي اجدك تضطجع متكاسلا على ظهرك، اخبرني كيف استطعت الدخول الى مجلس الالهة بحثا عن الحياة [٣٤]، وهنا لم يزل كلكامش متصوراً بان الخلود هو القوة العضلية الجسدية، لذلك فهو يتحدى جده موضحا له كيف تمكن من ان ينتصر على الموت، لكن اوتو – نبشتم اجابه كما فعلت من قبل سيدوري حيث لا يوجد شئ دائم، ولا بد للانسان ان يفنى عندما تقضي الالهة بذلك [٣٥] لكن كلكامش لم يقنع بجميع هذه الادلة النظرية، الامر الذي يدفع اوتو – نبشتم الى اخضاع كلكامش الى اختبار عملي ليجعله يقنع بقدرية الموت، من خلال (اختبار النوم)، وقد كان الاختبار عسيراً والمطلوب منه ان يثبت استعداده ومقدرته على قهر الموت الأصغر وهو (النوم)، فكان عليه ان يجلس في وضعية القعود ستة ايام وسبع ليال دون ان يطرق الكرى اجفانه وقد قبل كلكامش التحدي مصمما على قهر الموت الاصغر وكسب الرهان والحصول على سر الخلود، ولكن سرعان ما غلبه النعاس وغط في سبات عميق، ولما استفاق وجد انه نام عدة ايام اشرتها زوجة اوتو – نبشتم على الجدار كما احصتها عداً بأرغفة من خبز وضعتها عند رأسه وهو نائم، وحين علم الحقيقة وتأكد من فشله في الاختبار اقتنع باستحالة الخلود المادي وقرر مغادرة الجزيرة ومعه اورشنابي الذي امره سيده بمغادرة المكان دون رجعة ومرافقة كلكامش الى مدينة اوروك [٣٦]، واثناء رحيله – اي كلكامش – قال لجده "ماذا عساي يا اوتو – نبشتم ان افعل والى اين اوجه وجهي؟ اجل ان المفرق قد تمكن من جوارحي، اجل في مضجعي يقيم الموت واينما وضعت قدمي يربض الموت " [٣٧].

هكذا لم يتمكن كلكامش من الحصول على هذا الخلود الذي يعد شذوذا عن القانون الأزلي المحتم، ورغم أن ثلثيه من مادة الآلهة ولم يعوزه إلا ثلث ليصير إلها [٣٨]. لكن هل هذا يعني بان جميع جهود كلكامش تذهب دون مكافأة، أليس بمقدور اوتو– بشتم بطريقة ما مساعدة كلكامش للحصول على وطره ؟ نعم بالتأكيد فما عليه إلا أن يحصل على نبات شوكي معين ينمو في أعماق المياه الباطنية، حيث مسكن الإله انكي– ايا، ذلك النبات يحمل خصائص تجديد الشباب لمن يأكل منه إذا بلغ الشيخوخة، فيقوم كلكامش بالغوص في القناة المائية التي تصل إلى الأبسو– مجمع المياه السفلية العذبة – رابطا إلى قدميه حجرة ثقيلا يشده بقوة إلى الأسفل، وهناك رأى النبتة فاجتثها بعد أن أدمت أشواكها يديه. غير أن حتى هذا الأمل الوحيد لكلكامش " في التغلب على الموت يتلاشى بظهور الأفعى والتهامها للنبات على حين

غفلة [٣٩]، من جهة أخرى فان ملحمة كلكامش أكدت على أن الإنسان إذا تعذر عليه الخلود الجسدي بسبب الموت الذي لا مهرب منه، فانه بالإمكان أن يخلد اسمه وتبقى ذكراه عن طريق أعماله ومآثره [٤٠]

فالبطل الذي أصابه الفشل في بحثه عن الحياة الخالدة كان قد وجد طريقاً آخر للخلود ألا وهو العمل الإنساني، فالذي يميز ملحمة كلكامش هو أن العمل الإنساني يعتبر فيها الجوهر الفعلي للإنسان، وذلك ما جعل الفأس رمز العمل الإنساني، مرادفاً للإنسان ذاته، وبهذا المعنى كان كلكامش " قد أدرك انه إنسان قبل كل شيء [٤١]. فهو أولا يقول لوالدته الآلهة ننسون في أوروك ذات الأسوار رأيت فأساً مطروحة، ثم يقول لها ثم وضعتها عند قدميك فجعلتها أنت نظيراً لي [٤٢]، ولدى تفسير ننسون الحلم لابنها، جعلت الفأس رمزا لـ " انكيدو " فاصبح بذلك العمل الإنساني يمثل جوهر الإنسان وغاية وجوده، وهو بالتالي رمزا للخلود يكافح الانسان جاهدا لنيله وتحقيق مبتغاه في بقاء ذكراه على مر العصور، وهذا يوضح إلى مدى بعيد اعتزاز كلكامش بعد عودته إلى أوروك بصحبة أور– شنابي الملاح، بأعماله العمرانية في هذه المدينة حيث جاء قول كلكامش لـ "أور– شنابي " الملاح، اعل يا أور شناني وتمشى فوق أسوار أوروك وافحص قواعد أسوارها، وانظر إلى أجر بنائها، وتيقن أليس من الأجر المفخور.. " [٤٣]

بهذا فـ " كلكامش " يظل بطلا بالرغم من خيبة أمله. فتشاؤمية الملحمة..لا تعني مهادنة الضعف الإنساني بالطبع، فالشرق القديم لم يعرف الإلحاد، ولا حتى فلسفة الشك، فانتصار الطبيعة على الإنسان في الملحمة تطرح كانتصار للنظام الذي وضعته الآلهة، ولكن الإنسان الذي يمثله كلكامش لم يستسلم لهذا الانتصار[٤٤]، بل يوجد طريقة أخرى جديدة هي طريقة العمل الإنساني ليخلد نفسه، وقد كان هناك مثال آخر يشير إلى مدى تشبث العراقيين بخلود الذكر ما كتبه حمورابي في خاتمة مسلته المشهورة حيث جاء فيها في أي – ساكيلا (المعبد) الذي احبه ليذكر اسمي بالطيب إلى الأبد [٤٥].

ولو أمعنا النظر في بعض الرؤى الفلسفية تجاه الحياة التي تنساب في فحوى ملحمة كلكامش مثلها كباقي الفكر العراقي القديم، لرأينا كيف ان هناك تجسيدا للمعاني والقيم التي تسعى الى توثيق الصلة والرباط ما بين الانسان وواقع الحياة، وتحقيق ارادة الحياة ونبضها من خلال تفعيل وجودية الانسان في المجتمع، ان هذه الرؤي انبثقت من نظرة استقرائية محللة لمظاهر الحياة وتناقضاتها، حتى الوصول ولو بصورة بسيطة الى نسبيتها في التأثير على الانسان وضرورتها بالنسبة اليه، وهذا ما نلمسه ايضا في اغلب المدونات الادبية والتاريخية التي رفدنا به ادب العراق القديم. [٤٦]

من الجدير بالذكر معرفة أن أغلب الفكر الانساني القديم هو وليد عوامل وظروف مختلة، منها العوامل الطبيعية والبيئية والتي لها الأثر الاكبر في عامل الاستقرار الاجتماعي والنفسي وبالتالي الفكري

او الاضطراب الذي يخلق حركة فكرية متمردة ومحللة، قد تنشأ معها بوادر لافكار متطورة، ولا ننسى أن الامكانيات الاقتصادية والمادية المتاحة في هذا البلد او ذاك، وبمساعدة الصدفة والحاجة التي تقود الى الابداع كل ذلك له الأثر في النمو والتطور الفكري. (٤٧)

من هنا نرى أن جاز لنا القول ان النظرة الاستقرائية والحكيمة في نفس الوقت، التي عبرت عن حب الحياة والارتباط بها والتمسك بكل ما يسعد النفس لدى العراق القديم، كانت مخاضة للطبيعة المضطربة التي عاشتها حضارة وادي الرافدين من فيضانات ورياح سموم وواقع قاسي وارض مفتوحة من جميع الجهات اثرت بدورها على تشجيع الغزو السياسي والعسكري والفكري، مما ادى إلى ظهور متناقضات الحياة وانتفاء الحقيقة المطلقة، قاد هذا الى خلق الصراع بين النظرة المادية والروحية، حيث الميل إلى النظرة المادية للامور وتراجع التوق الروحي، ادي هذا إلى تنامي الرغبة في تحقيق ما وجد الانسان له في الحياة وذلك في السعي بطلب السعادة والهناء لكل من عقله المتساءل وعاطفته الجياشة، والوصول الى تحقيق الخلود المعنوي، كل ذلك لم يمنع من التواصل في الايمان بالمعتقد والسلطة الالهية، كونه ضرورة وجدانية لم تختفي من روحية العراقي القديم، لكنها مساقة بالحكمة والتحليل لتصب فوائدها في واقع الحياة.

هذه المفاهيم نراها بصورة واضحة في الفكر العراقي القديم، فان الامتدادات الحضارية والفكرية لحضارة وادي الرافدين اكبر من ان تختفي اوتزول ولا تترك بصماتها الواضحة في الفلسفات اللاحقة.

هناك أسطورة ثانية تشير إلى قدرية الموت واستحالة الخلود وهي أسطورة أدابا وفيها أن الإنسان يصبح قاب قوسين أو أدنى من الخلود عندما يقدم اله السماء ماء الحياة وطعام الحياة (٤٨)، ويتم رفضه من قبل الإنسان فيفقد بذلك فرصته في الحياة الأبدية للمرة الثانية، فالأسطورة تتناول أحداثا ذات طابع تأملي وانساني تميز المعاني و القيم التي نشأ الانسان عليها منذ القدم كالطاعة والخضوع للاوامر الالهية دون التفكير بمعارضتها وهذا ما نراه في اسطورة آدابا – Adapa وهو رجل تقي خسر الخلود وفقده بسبب غلطة (٤٩)، إذ خصه إله الحكمة انكي– أيا بالسلطة وسعة المعرفة إلا أنه لم يوهب الخلود الذي انفردت به الآلهة وحدها (٥٠). لقد كان آدابا يمتهن صيد السمك في مركبه فكان يزود أريدو ومعبدها بالسمك، واشتهر بحذقه في الملاحة والصيد في البحر، وحدث ذات مرة أن الريح الجنوبية (٥١)، والتي تصورها الإنسان آنذاك على هيئة طائر شيطاني وهناك تمثال له في متحف اللوفر وهو واقف على رجليه المنتهيتين بما يشبه أظافر النسر، أما جسمه النحيف القوي فهو جسم حيوان، وعلى كتفيه جناحان كبيران، ووجهه بارز العظام دميم المنظر تعلوه جبهة فيها قرنان ولا ينفك فمه عن إصدار زئير مرعب (٥٢)، إذ قامت بإغراق سفينة أدابا وهو يصطاد السمك فغضب لذلك ولعنها على ما فعلت، فانكسر أحد جناحيها ولم تستطع الهبوب مرة أخرى (٥٣)، ولما كان لهذه الريح من أهمية في اقتصاديات جنوب العراق حيث

تجلب كل مطر العراق الضئيل الضروري للزراعة في الشتاء وتساعد على نضوج البلح في الصيف، فقد اثارعمله غضب الإله العظيم انو[٥٤] فاستدعاه لمحاكمته على كسر جناح الريح الجنوبية وهنا... ينصح ايا – إنكي وهو اله مدينة أريدو آدابا بان لا يتناول من أي طعام أو شراب يقدم إليه من اله السماء، إذ أن أيا يعرف بان طعام الآلهة يشتهر بالخلود، لذلك منع بهذا ادابا من الحصول على الخلود.. " [٥٥]، لأن آدابا حين حضر بين يدي الإله انو ورد على تساؤلاته بكل ثقة وصدق سبب ذلك إعجاب الإله فيقرر منحه ماء وطعام الحياة، غير ان آدابا يرفضهما اعتمادا على نصيحة حاميه الإله ايا فيخسر بذلك الخلود هو وذريته من بعده، وهذه الأسطورة يدور حولها نقاش طويل عن معناها العميق "... الذي يثير معضلات خطيرة في الفلسفة الدينية. فان تصرف الإلهين آنو و ايا نحو آدابا لا يخلو من المفاجاة، فهل كان أيا صادقاً حينما نصح مريده بان يكون حذراً من عطايا انو ؟ وهل كان من جراء جهل غريب أو حكمة عميقة انه منع آدابا من انتهاز الفرصة التي قدمت له ليصبح خالداً ؟ وقد رأى فيها البعض لعنة عاقب بها انو جسارة ادابا ويبدوانه من الأفضل أن تصور بوصفها برهانا جديداً على عدالة انو، فقد حكم إن ادابا يستحق الخلود، لكونه إمتلك من المعاني والقيم والحكمة ما تجعله أن يكون في مقام الخالدين [٥٦]. فهو ".. شبيه بكلكامش " حيث انه فقد الخلود بواسطة تخطيط الآلهة، لكنه لم يفقد مكانته الحقيقية بين الناس لحكمته وعمله الصالح الذي كان السبب في دوام ذكراه وهذا ما لمسناه في الملحمة السابقة، وعلى ما يبدو ان انو (اله السماء) قد كافا آدابا[٥٧].

ثانيا: فكرة الموت في العقيدة المندائية:

مثلما تميّز المندائيون بأساطير الخليقة الخاصة بهم فأنهم تميّزوا أيضاً بأساطير الموت والنهاية والفناء. فهم يرون أن عالم النور هو العالم الأساسي الوحيد في هذا الكون أما العوالم الأخرى فيعتريها الفساد والموت والفناء. وينسحب هذا على كائنات هذه العوالم. فالنور هو الذي لا يتفسخ ومنه صنعت كائنات النور أما كائنات الظلام فمصنوعة من الماء الأسود الآسن والطين واللحم..إلخ كذلك كائنات الأرض مصنوعة من اللحم والعظم والدم وهذه كلها موادٌ آيلة إلى التفسخ والموت. [٥٨]

الإنسان يحملُ في مادة جسده الفانية نسمة النور (نشمتا) وهي الوحيدة التي لا تموت ولذلك تخرجُ من الجسد بعد الموت لتعود إلى عالم النور، أما الجسدُ فيفنى.

إن أساطير خروج الروح ومحاولتها للعودة إلى عالم النور تشكّل المتن الأساسي الأول في ما نسميه بأساطير الموت أو النهاية. لكن عودة الروح وعروجها تشكّل نصف الدائرة بينما يشكل هبوط الروح من عالم النور إلى الجسد نصفها الأول في بداية خلق الإنسان. ولذلك تتكون دائرة الروح من نصفين

مترابطين، وتكون أساطير هذه الدائرة مشتملة على مثولوجيا المبدأ (حيث هبوط الروح في خليقة الفرد) ومثولوجيا المعاد (العروج) (حيث صعود الروح بعد موت الفرد). [٥٩]

إن هذه الدائرة المثولوجية استحوذت على اهتمام استثنائي في الديانة المندائية فقد تكرّست كلّ نصوص كنزا اليسار ونصوص كتاب الأرواح (سيدرا إد نشمثا) وديوان أباثر والمسقثا وغيرها لتتبع أثر الروح من وإلى عالم النور، وظهرت بذلك نصوص أسطورية كثيرة حولها. كذلك انعكست هذه الأساطير على الطقوس والشعائر فتكونت مجموعة منها لتسهيل حركة الروح وطهارتها وذاكرتها.

في المعتقدات المندائية تنزل الروح (نشمتا) من عالم النور إلى الجنين وهو في بطن أمه عندما يكون عمره خمسة شهور تقريباً وهو ما يفسر بدء حركته في الرحم. هكذا يرى المندائيون هبوط الروح من عالم النور قبل الولادة، ولا أحد يعرف ما هي الآلية التي تدخل بها هذه الروح جسد الجنين ولكنها ربما تكون مشابهةٌ لأسطورة النزول التي سنفصّلها في المبحث القادم. وتشكل دورة الروح المثولوجية للفرد الواحد صدىً أو تكراراً، بدا وكأنه طقسيّ، لحادثة الخليقة الأولى يوم نزلت الروح على يد منداد هيي وآدم كاسيا في جسد آدم. إنها دورةٌ مشابهة تتكرر مع كل إنسانٍ لكن صدى أول نزول يشكل نقطة البدء المثولوجية التي يلتفت المؤمنون لها دائماً ويتذكرون مع كل حمل ثم ولادةٍ خليقةُ جديدة مشابهة.

ويعتبر نزول الروح في جسد آدم بمثابة (الوحي) الأول القديم الذي حمل الحياة والمعرفة إلى جسد آدم، ومن هنا جاء دور مندا إد هيي في حمل هذا الوحي فاسمه يشير إلى (المعرفة والحياة) وبذلك تكون الروح المحمولة من قبل منداد هيي منطوية على جوهرين أساسيين هما (الحياة والمعرفة)، الحياة لكي نكون مثل بقية الكائنات أحياءً والمعرفة لكي نميّز ونعقل ما حولنا.

إن مندا إد هيي يأخذ مكاناً في (عقل آدم) و(أدكاس– مانا) وهذا البرهان هو هبوط (نشمثا) أو (أدكاس– مانا) في جسد آدم وهو مرتبطٌ بفكرة الوحي القديمة التي تتفق مع مفاهيم الأنثروبولوجيا المعرفية القديمة. وبذلك تتعزز الفكرة التي تقول أن هذه المفاهيم المركزية للديانة المندائية هي في غاية القدم. [٦٠]

يعتبر مندا إد هيي الرسول القديم (شليها قدماي) أي الرسول الأول، ورسول النور (شليها دنهورا) ورسول الحق (شليها كُشطانا). ويعتبر كذلك رب المعرفة أو سيّد العرفان (ماري كشطا). لقد أوصل العرفان أو المعرفة الإلهية بواسطة الكلمة (قالا) التي هي الخالق نفسه.

وقد أخذ الإغريق مفهوم الكلمة (قالا) وترجموها إلى (لوغوس) (ومن لوغوس اشتقت مفردة "لغة" العربية). وكذلك فعل اللاهوتيون المسيحيون حينما قالوا أن الله هو الكلمة. ويتضح كم كان المندائيون يحملون مفاهيم عميقة في الفلسفة الدينية أثرت في غيرهم. (٦١)

الوحي إذن هو الكلمة (قالا) و(لوغوس) وهو الخالق نفسه عند المندائيين. وأتى يوحنا كاتب الإنجيل بعدهم بمئات السنين ليقول في فاتحة إنجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمةُ لم تدركه" (٦٢)

ولا شك أن كل من يقرأ هذا المقطع ويحملُ ثقافةً مندائية بسيطة لا يخطر في باله سوى عناصر المندائية المعروفة مثل: المعرفة (الكلمة)، الحياة، النور، الظلمة، ويدرك على الفور علاقة هذه الفاتحة بالديانة المندائية، وكل ما في الأمر أن يوحنا غير المعرفة إلى الكلمة وقد عرفنا أنها ترادفها تماماً.

إن مندا إد هيي هو حامل الكلمة وهو، بطريقة رمزية، الكلمة ذاتها لأنه يحمل المانا في جوهره (كما أوضحنا في توازيات الانثروبوغونيا). وسواء كان الكلمة أو حاملها فهو لوغوس المندائيين وهو الذي يقوم بالوحي وهو الرسول الأول.

أما بعد وفاة الإنسان فهو الذي يقوم بدور المخلِّص أيضاً، إذ أن مندا إد هيي هو الذي يزور الروح قبل خروجها ويذكرها بواجباتها ويعدها بأن يصعد بها إلى عالمها الذي جاءت منه وهو عالم النور.

"إنه مندا إد هيي نفسه

الذي ارتحل ذاهباً لكي يأتي إلى العالم

حقاً، إنه أخذني من الأرض

وانتزعني من الخدعةٍ والتلوين

هو أخذني من قرمة القدم

التي تشبه العالم الممتليء

هو حلّ وثاقي وأربطتي

التي هي طويلة إلى حدٍّ بعيد

هو خلع عني الثوب

المنسوج من كلِّ لونٍ ونوع

إن ذلكم الذي حلني تقدمني ذاهباً

أما ذلكم الذي كان قد ربطني فهو يتبعني ساعياً

إني مضيت واستندتُ إلى ذلك الذي حلّ وثاقي

أما ذلكم الذي كان قد ربطني فهو لم يدركني

إن الحياة استجابت لي من الأثمار

إن البهاء أجاب عليّ من بعيد

من مكانٍ جدّ بعيد

تطلعت أنا ناظراً فعرفتُ أبي"(٦٣)

يطلق لقب (كبرا) أو (جبرا) أي الرجل على مندا إد هيي أما لقب جبرائيل فيطلق على ابنه هيبل زيوا وعلى بثاهيل، ولقب (ابن الحياة) (كاهنون هيي) ولقب (بهير زدقا) أي (ذو الصدقة الباهرة) فهو موزع الصدقات الذي يطابق مفهوم (الآدميين السماويين) وهو الاسم الذي يطلق على (الناصورائيين). ولننظر إلى الروح كيف تنادي على مندا إد هيي عندما تحول عفاريت الأرض والظلام بينها وبين الالتحاق بعالم النور:

"**السبعةُ تحيطُ بالجسم من كل جانب**

إنها تقعدُ جالسةً وتتحدث قائلةً:

إذا سولت لكِ نفسكِ وخرجتِ، أيتها الروح (نشمتا)

فسوف نقودك إلى الجباة

إذا فررتُ خارجةً وقفت العفاريت في طريقي

وإذا عدتُ من حيث أتيت، لا يجوز، إذ أن عددي قد تمّ

أين هي الحياة التي طالما كنتُ قد أحببتها أنا (في ترجمة أخرى: أين هو ابن الحياة)

وأين هي الحياة التي كانت قد أحبتني؟

أين هو الرجل (جبرا) ذو الخبرة بالعدل والانصاف (بهيرا زدقا)

الذي باسمه كنتُ أنا قد دفعت الصدقات؟

أين هو مندا إد هيي

الذي باسمه كنتُ أنا قد ذهبت إلى النهر؟

أين هو ماء النهر الحي

الذي طالما كنت أنا قد اغترفت من منهله السعادة؟

من منهله اغترفت السعادة

واستلمتُ الإشارة الطاهرة

أين هو المسرى الذي مشيتُ أنا عليه

وأين هي التحية التي ناولت يدي يدها؟

أين هما نعلا رجليّ

تانك اللتان وطأتهما بصحبة أصدقائي؟

أين تمضي ذاهباً، يا ربّ الكوشطا

وها قد تألبت عليّ العفاريت وأحاطت بجسدي؟

ها هي ذي العفاريت تحيط بجسدي من كلّ جانب

وعياني في رأسي تتخضبان بلونٍ آخر

أين أرفع عينيّ إلى العلياء متطلعاً

وإذا بي أبصر الرجل الذي هو عوني" (٦٤)

ثانياً: مثولوجيا الآخرة Eschatolgy

الاسكاتولوجيا هو علم الموت والنهاية والآخرة ويتضمن أساطير وعقائد الموت وما بعد الموت من حساب وعقاب وثواب وجنة ونار.. إلخ

ويمكن أن تكون الاسكاتولوجيا امتداداً لمثولوجيا الموت والفناء لأنها ستتناول الأساطير المتعلقة بمصير الروح والجسد والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار وهي أمور درجت الأديان القديمة والموحِّدة على ذكرها كلٌّ حسب طريقته.

الديانة المندائية لديها تصورات واضحة جداً حول مصير الروح ومسارها وشكل الآخرة ولذلك فأن الاسكاتولوجيا المندائية غنية جداً وتحفل بالكثير مما يميزها تماماً.

هناك ثلاثة أنواع من الحساب تجري للروح وهي كما يلي:

١. **حساب المحاكمة:** ويجري هذا الحساب عندما تكون الروح في الجسد حيث يجري تنصيب قضاة من قبل عالم الظلام والكواكب السبعة لمحاكمة الروح، وعادة ما ينطق الحكم بسجن الروح في الجسد بسبب الشهود الكاذبين:

"مَنْ ذا الذي قذف بي بين الشهود الحيّالين؟

مَنْ ذا الذي قف بي وسط الشهود المخادعين؟

الذين لا يملكون حتى ذرة من الاستقامة والصدق؟ " (٦٥)

ولذلك يأتي تحذير عالم النور للروح عندما تهبط بالجسد بأن محاكمتها قد تجري أولا تجري ولن يحكم عليها بالعدل لأن عدالة عوالم الأرض والظلام مزيفة:

"إنك لن تذهبي إلى المحاكمة

ولن يحكم عليك بالعدل

لا، لن يحكم عليك بالعدل

إذ أنكِ مارست القيام بأعمال رجلٍ صادق

ما تتحملين أ،تِ إياه هنا وتصيرين عليه

لن تجديه أمامكِ، أيتها المختارة

فرّي هاربة من عنف وجبروت

الكواكب ذوات السلطان في هذا العالم" (٦٦)

٢. **حساب بحر سوف:** بعد أن تخرج الروح من الجسد فإن أول تحدٍ يواجهها هو بحر سوف السماوي (الذي يقابله البحر الأحمر على الأرض) فإذا كانت الروح مثقلة بالأخطاء فإنها ستغرق في هذا البحر ولن تجتازه صعوداً إلى نهر هيتبون. وإذا غرقت الروح في بحر سوف فإنها ستنحدر إلى عالم الظلام في عبادين السفلى وستقضي حياتها سجينة هناك مع كائنات الظلام وقد تعذب بالنار والماء الحار. أما إذا كانت الروح قليلة الأخطاء فأنها ستواصل الصعود خلال منازل الحراسة.

٣. **حساب الميزان (أباثر):** وهذا هو الحساب الأخير قبل الصعود إلى عالم النور وفيه يتم وزن الروح من قبل الملاك أباثر حيث توضع الروح في كفّة ويكون شيتل ابن آدم في الكفة الأخرى. فإذا كانت أخطاء الروح قليلة جداً فأنها تصعد إلى عالم النور، أما إذا كانت هناك أخطاء معينة فأن الروح تنزل إلى واحد من منازل الحراسة بما يناسب ذنبها (وسنشرح ها مفصلاً) وتقضي زمناً طويلاً هناك وربما تعود إلى عالم النور:

"إن الميزان قد نُصب أمامه

وهو يزن الأعمال والأجر

إنه يزن الأعمال والأجر

ويجمع الروها (النفس) مع نشمتا (الروح)

إذا ما وضع هو أحداص على الميزان وأثبت هذا بأنه مستوفٍ للشروط

عندئذٍ سوف يرفعه المرؤ عالياً ويمنح إياه سنداً ودعامةً في الحياة

أما إذا وضع هو أحداً على كفّة الميزان وأثبت بأنه غير مستوفٍ للشروط

فسوف يستبقيه في هذا العالم" (٦٧)

أما مدرج صعود الروح فسنتعرض له بالتفصيل مع دائرة الروح كلها.

إن العقاب والثواب جاءا على قدر أخطاء وحسنات الروح في تجنبها للشر والانغماس في الحياة الدنيوية الزائلة وفي قدرتها على تذكر أصلها وعدم تضبب رؤيتها لعالم النور وهي مقرها الأول والأخير، وعليها أن تُدرك طبيعة العالم (الأرضي) التي هي فيه:

"إني أنا مانا الحياة الكبرى

الذي يسطع بهياً خلال تسبيح من خلقني

عندا جلبوا هم إياي إلى الأسر

عندما بعثوا هم بي إلى العالم وجلبوا إياي

فقد بعثوا هم بي إلى عالم القتلة والسفّاحين

إلى أولئك المقطعين المعرضين للهلاك جميعهم

إلى العالم الذي هيئته قبيحة

ومريبة لا ينير

إن خدمهُ ليس لديهم طريقة للسير

وجميع مخلوقاته خالية فارغة من البهاء

إنهم ليسوا لطفاء وليسوا هادئين

وما من رابطة مشتركة تجمعهم بعضهم إلى البعض الآخر

مظلمة داكنة هي أشكالهم.." (٦٨)

لقد طوّر المندائيون صورة خاصة بهم للحساب والعقاب والثواب لم تكن موجودة في تراث وادي الرافدين الذي سبقهم من سومري أو بابلي أو آشوري، كذلك فإنهم لم يتأثروا كثيراً بصورته عند المصريين القدماء (باستثناء ميزان أباثر الذين يشبه ميزان أوزريس) والحقيقة أننا لا نملك سوى الصور البارسية والمجوسية القريبة من الصورة المندائية لكننا نرجّح أن الصورة المندائية هي الأقدم وهي أصل تلك المفاهيم الأسكاتولوجية الجديدة.

الجنة والنار عند المندائيين:

الجنة أو الفردوس عند المندائيين تختلف تماماً عن مثيلها عند الأديان الأخرى فهناك في الأعالي فردوسان علوي وسفلي هما:

١. **الفردوس الأعلى:** وهو عالم النور الذي تسكنه الكائنات النورانية ويحكمه الحي العظيم بحكمته ونوره ويكون سكان هذا الفردوس من الأثري ويضم الأثري العظام وخصوصاً الحياة الأولى ومندا إد هيي، ويتكون من عشر طبقات سبق وأن شرحناها. وهو عالم السعادة الحقيقية، العالم المثالي الأول الذي بصعد إليه الأرواح المؤمنة للناس، وفي هذا العالم لا يوجد ظلام أو موت أو ظلم أو قه فهو العالم الذي تطمح إليه العوالم الأخرى لكنه فردوس الكائنات النورانية فقط. (٦٩)

يتكون من أربعة عناصر كبرى هي (النور، الحياة، الماء، الأثير) وهناك درجات متفاوتة من كل عنصر فالنور مثلاً يتكون من أربع درجات هي (يورا، الضياء، النور، الضوء)..إلخ

وفي غرفة الكنز توجد الأرواح المكنوزة التي صعدت أو التي ما زالت تنتظر النزول. وتستقر في عالم النور الأجسام النورانية للبشر. ويتناظر هذا العالم مع عالم الظلام كما أوضحنا في السلسلة الثيوغونية. يوتكون من ثلاث أراضٍ هي (النور، الأثير، تروان).

٢. **الفردوس الأدنى:** وهو عالم الحق والعدل (مشوني كوشطا) الذي هو العالم المثالي الثاني بالنسبة للأرض. أي أنه يناظر عالم الأرض ففيه (دموثا) من كلّ ما في الأرض ويحكم هذا العالم الأثري (شيشلام ربّا) أي (السلام العظيم) وهو كائن نوراني عظيم يناظر (هيبل زيوا) الذي تولى مسؤولية الأرض من عالم النور ويسكنه آدم كاسيا وحواء كاسيا وأحفادهما.

وترى ليدي دراور أن هيبل زيوا هو مكوّن الأرض ومشوني كوشطا بتوجيه من الحي العظيم. المعنى الحرفي لمشوني كوشطا (الحق الذي رفعناه نحنُ). وتستقر في هذا العالم الأجسام الأثيري للبشر وهي (دموثا) الأجسام الأرضية. ولا توجد (نشمثا) في عالم مشوني كوشطا بل الأجسام الأثيرية التي تركتها الروح واستقرت في الأجسام النورانية الصاعدة إلى عالم النور. وفي هذا العالم هناك (دموثا) أو أشباه لكل الوحوش والنباتات والحيوانات والبشر، وهؤلاء يتزوجون كما في العالم الأرضي لكن دون ظهور نجاسة منهم.

أما موقع هذا العالم فهناك ثلاثة آراء حوله، هي: (٧٠)

أ. يقع في الشمال ويفصله عن هذا العالم جبل عالٍ من الثلج.

ب. يرى الشيخ هرمز بر أنهر بأنه في المريخ وسكانه شبه روحيين وأصغر منّا حجماً.

ج. في الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم وحيث يمكن لسكانه أن يتخاطبوا مع الملكي والأثري وأن يشاهدوهم.

أما الجحيم أو النار عند المندائيين فنرى أنها تنقسم إلى مكانين أيضاً:

١. الجحيم الأعلى: وهو الأرض (تيبل) التي تناظر عالم مشوني كوشطا. وهيبل زيوا أو بثاهيل احدهما أو كلاهما خلق الأرض. وتحكم هذا العالم الكواكب السبعة والأبراج الاثنا عشر والكواكب الخمسة والروها. ويحاول الإنسان في الأرض أن يقيم الحق ويشعّ بروحه نفحاتٍ من عالم النور لكن هذا العالم مليءٌ بالشرور.

٢. الجحيم الأدنى: وهو عالم الظلام الذي يتكون من ثمان طبقات وتحكمه (روها) وهو يتكون من ثلاث طبقات من الجحيم هي عبادين العليا والوسطى والسفلى، وتسمى أيضاً شيول وجهينا وفي هذا الجحيم تتعذب الأرواح الخاطئة التي غرقت في بحر سوف وانحدرت إلى هنا. ويبدو أن الأرواح لا تبقى هنا إلى الأبد في عذاب أزلي بل سترتفع، ذات يوم، إلى عالم النور بعد أن تتطهر من خطاياها وتكفّ عن الانحدار إلى قبول خطايا جديدة ولنستمع إلى مندا إد هيّي وهو يخاطب إحدى الأرواح الخاطئة المحبوسة في باطن شيول:

"أيتها الروح (نيشمتا)! عندما هتفت بكِ منادياً فلم تجر أنت جواباً

والآن وها أنت بنفسكِ تنادين فمن عساه يجيب عليكِ؟

لما كنتِ قد أحببتِ الذهب والفضة دون غيرهما

يتعين عليكِ أن تكوني حبيسةً في باطن شيول

لما كنتِ قد أحببتِ التصور والخدعة

يتعين عليكِ أن تسقطي في القدور حين تفور هذه وتغلي

ولكن إذا أنصدّت نفسكِ عن الجرائر

وانتهت كل خطاياكِ وانقلبت إلى حسنات

فسوف تصعدين على سلم الإرتقاء عالياً

ذلك الذي ارتقى عليه الكاملون قبلك إلى العلياء

أما إذا لن تصدّ نفسكِ عن الجرائر

ولن تنتهي كلّ خطاياكِ ولن تنقلب إلى حسنات

فسوف تموتين، أيتها الروح (نيشمتا)، موتاً ثانياً

وعيناكِ لن تريا النور أبداً " (٧١)

هناك إذن موتٌ ثانٍ هو موت الروح نهائياً، فالموت الأول هو موت الجسد وخروجها منه وسقوطها في الجحيم شيول. أما الموت الثاني فهو عدم صعود الروح إلى الأعالي وهي في الجحيم بسبب عدم قدرتها على التطهر. أي أن البقاء الأبدي للأرواح الخاطئة في شيول هو الموت الثاني.

هناك إمكانيةٌ لأن ترتقي الأرواح الخاطئة في شيول إلى عالم النور بعد تطهرها. لكنها إذا لم تتطهر فستبقى إلى الأبد هناك وربما تذوب أو تحترقُ في مكونات الجحيم.

ثالثاُ: مثولوجيا الخلاص Soteriology

تطرقنا في أكثر من مكان لموضوع الخلاص، لكن هذا الموضوع يدرسه علمٌ خاص هو السوتيرولوجيا الذي يركزّ على أنواع الخلاص خلال الحياة وبعد الموت بشكل خاص، ويسهبُ في مناقشة أنواع المخلّص وطرق الخلاص في كافة الأديان.

إن فكرة الخلاص الدينية فكرة قديمة جداً تمتد إلى السومريين عندما كان يعتبر بعث دموزي خلاصاً من الشتاء والقحط وموت الزرع وبشيراً بالربيع والخضرة والخصب. وتحوّل (دموزي) إلى أول مخلّص في تاريخ الأديان، وجاء بعده أشباهه (تموز، أوزوريس، أدونيس، أتيس، ديونيزيوس، أورفيوس..إلخ)

وتحولت الأديان الخلاصية القديمة إلى أديان وفرق ومعتقدات سرّية في كلّ الأمم كانت تحوي في جوهرها عقيدة خصبية دفينة يجري حولها مبدأ الخلاص، وكانت الآلهة الأم تلعب دوراً مهماً في هذه الطقوس والشعائر مثل الإلهة ننخرساج والأم السورية والإلهة الفريجية الكبرى (سيبيل) والإلهة المصرية (إيزيس) والإلهة (أناهيت). (٧٢)

وفي الأديان الغنوصية ازدادت أهمية (الخلاص) بل أصبح هو جوهرها وأصبح انتظار الإله الصانع (وهو الإله الثاني في المرتبة بعد إله الكون الأول) أساس الخلاص في هذه الأديان وهو ما يسمى

بالعرفان حيث تعرف النفس أصلها السماوي وبأنها لا علاقة لها بهذا العالم بل هي جزء من عالم أسمى منه وهو العالم السماوي الذي نزلت منه وحلت في الجسد الفاني وقد يتم خلاصها بواسطة مخلّص ملاك أو إله فادي (المسيح).

تقول المدونة الهرمسية التي هي أحد أصول فكرة الخلاص الغنوصية: (٧٣)

"قال: لقد فهمت فعلاً أيها الصديق. ولكن لماذا كان (من عرف نفسه يعود إلى نفسه) كما قال الله فأجبتُ: لأنه من النور والحياة ربّ كل شيء، الرب الذي أنجب الإنسان. قال: أنت تقول: النور والحياة ذلك هو الله الأب الذي منه كان الإنسان فإذا تعلمت أن تعرف نفسك بوصفكَ مصنوعاً من الحياة والنور ومكوّناً من هذين العنصرين فإنكَ ستعود إلى الحياة. ذلك ما قاله بوامندريس" (٧٤)

كانت النصوص المندائية هي السبّاقة في تحديد المعنى الدقيق لخلاص الروح فقد كرّست نصوص كنزا ربّا اليسار كلها للتفصيل في موضوعة الخلاص وارتفاع النفس إلى عالم النور.

تتركز فلسفة الخلاص الغنوصية، بشكل عام على أن الإنسان غير قادر على اكتساب المعرفة العالي التي تنشدها الغنوصية، وإنما تصله من خلال وسيط سماوي، منقذ، مخلِّص توكل له مهمة الهبوط إلى العالم السفلي لإرشاد البشر، أو بالأحرى، إرشاد النخبة، إلى طريق الخلاص. والجانب العملي في اكتساب هذه (المعرفة) هو مجموعة الطقوس والفروض الدينية التي تطهِّر الفرد والتسلّح بالأسماء السرّية التي تؤلف بمجموعها جواز المرور الذي يسمح للنفس البشرية تخطي الحواجز الكونية التي تقيمها قوى الظلام أمام النفس. والنفسُ في طريقها وهي تعرِّج نحو السماء تنزع عنها عند كلِّ نطاقٍ أو حاجز الرداء الذي يغطيها وبهذا تتجرد عن كلّ شيء غريب كان يغطيها حتى تصل إلى ملكوت الله في ما بعد الكون وتتحد هناك بالجوهر المقدس الذي انفصلت عنه من قبل وهو العقل الإلهي.(٧٥)

ولاتخرج النظرة المندائية للخلاص عن هذا الفهم من حيث الجوهر فالنفسُ تتسلح، منذ بداية هبوطها، بأسلحة الإيمان والعرفان والكوشطا وتبقى يقظة حذرة من مؤامرات وإغواءات عالم الأرض والكواكب والروها والفاسدين على الأرض، وتكون مستعدة للخلاص ساعة انفصالها عن الجسد عن طريق مخلصٍ يأتي إليها من عالم النور. ويكون المخلص، في الغالب، هو مندا إد هيي أو (أثري) يبعثه من طرفه.

ويسمى المخلّص في نصوص كنزا اليسار أحياناً بالرجل (كبرا) الذي يشير أيضاً إلى مندا إد هيي وأحياناً بمساعدة أو معاونة الكبير. ويظهر المخلِّص أحياناً وكأنه هيبل زيوا وربما كان هناك أثري ثلاثة من أجل رفع الروح إلى الأعالي:

"الأثري الثلاثة أسندت المانا

وهو، المانا، وجد سكينةً وراحةً في التنوير

هو، المانا، وجد في التنوير، راحته وسكينته

إنه يحتفظ بقوةٍ براحته وسكينة باله

إنه يتمسك براحةِ باله بقوةٍ

ويصير محتملاً ويعيش ساكناً في العالم

في العالم الذي ما من نهايةٍ لشدائده ومكارهه

إنهم أمسكوا المانا بكل ما لديهم من قوّةٍ

وأحاطوه ورفعوه بقوةٍ بأيديهم كلتيهما

إنهم رفعوه من الجسم

وقاموه في موضعه

إنهم فتحوا له باب النور

وأبصروه طريق الأمان.." (٧٦)

إن الخلاص المندائي يتم عندما تتحرر الروح (نشمثا) من الجسد الأرضي حيث تنتقل إلى جسد أثيري وترتفع بواسطة المخلص ومساعديه إلى الأعالي، فإن اجتزت بحر سوف ونهر هيبتون ثم منازل الحراسة ثم الجبال وغيرها بسلام فإنها تنتقل إلى الجسد النوراني، أما جسدها الأثيري فيذهب إلى عالم (مشوني كوشطا) وهناك يتداخل مع شبيه الجسد (دموثا). أما الجسد النوراني الذي يصعد إلى عالم النور فأنه يتداخل مع شبيه الجسد (دموثا) في عالم النورويسمى (سطونا) ويتداخل معه.

إن الخلاص المندائي ظل روحانياً. أثيرياً نورانياً بينما جسّد الخلاص المسيحي (المخلّص) وحوّله إلى إنسان ملموس جاء لينقذ البشرية كلها بالتعاليم، فما كان من البشر الأشرار إلاّ والقبض على المخلّص السماوي وصلبه فتجسدت هنا صفة الفداء، ثم قام المخلّص (المسيح) بالصعود إلى العالم السماوي. لقد حوّلت المسيحية فكرة الخلاص من فكرة مثالية مجردة إلى فكرة ملموسة وأضافت لها دراما الصلب والفداء فبدت أكثر تراجيدية وأكثر شعبية، وكان هذا أحد عوامل انتشارها. خصوصًا أنها ذكّرت بالخلاص القديم

لديموزي وأوزوريس وأدونيس وهو خلاص حسيٌّ مجسدٌ أيضاً فكان هذا سبباً كافياً لأن تذرف الجماهير الدموع وتتبنى المسيحية.

أما مندا إد هيي أو هيبل زيوا أو أنوش أثرا فقد ظلّوا في المندائية دون تجسيد محافظين على الصورة المثالية لهم تلك التي قررتها الديانة المندائية منذ زمن بعيد.

إن خلاص الروح البشرية من عذاب المادة وأسرها ينقسم في الأدبيات الغنوصية والهرمسية على أساس صوفي إلى نوعين: أولهما التصوف بالانتشار Extraversion Mystic الذي يخرج فيه الإنسان من ذاته ليتّحد بالله الذي يتصورهُ فيذوب ويفنى في الله. أما الثاني فهو التصوف بالانكفاء Intraversion Mystic حيث يحل الله في النفس ويغزوها ويتحول الإنسان إلى كائن جديد وهو ما يسمى بالحلول. (٧٧)

إن المندائية لم تطور نظاماً خاصاً للتصوف ولذلك لا وجود فيها للفناء أو الحلول أو تصوف الانتشار وتصوف الانكفاء. فالمندائيون لا ينظرون للروح على أنها جزءٌ من الله بل هي الله الذي حلّ في الإنسان وجعله يتحرك ويرى ويعرف ويعقل. إنها الـ(مانا) الذي هو جوهر الخليقة النورانية وهو الشكل المتجسد للحي العظيم.

ليس هناك فناءٌ للروح في الله عند المندائية وليس هناك حلولٌ لاحق يُحققهُ التصوف. بل أن الروح هي الله نفسه الذي حلّ في الجسد البشري ويجب خلاصه. فلا حاجة للروح بالتصوف (الفناء أو الحلول) بل تحتاجُ إلى أداء الطقوس والتذكر دائماً بأنها من أصل إلهي.

لا شك أن فكرة الخلاص المندائية تنطوي على مفاهيم أكثر مثولوجية ظلت كما هي دون أن تُنضجها الممارسات التي حققتها لاحقاً الأديان والمذاهب الغنوصية. ولنتلمس تلك العناصر الأسطورية النيئة التي تذكرّنا بأدبيات وادي الرافدين السومرية والبابلية في هذا المقطع من كنزا اليسار حيث تتحدث الروح:

"باسم سيدي مندا إد هيي

وبقوته ولجت أنا ودخلتُ في الجسد

إني دخلت وولجت في الجسد

ورضيت أن أكون حبيسةً في القصر

من ذلك اليوم الذي ولجتُ فيه أنا بالجسد

أصبحت زوجته على مرّ العصور

إنني صرتُ زوجة له على تعاقب العصور

والشياطين سخطوا عليّ من الأعماق

من الأعماق غضبوا الشياطين علي

وهم يتمنون بأن روح (نيشمتا) الحياة تذهب منهم"[٧٨]

قد يرى البعضُ أن الكنهة المندائيين والناصورائيين يشكّلون طبقة صوفية في الديانة المندائية وهذا غير صحيح مطلقاً لأن هؤلاء الكهنة لا ينعزلون عن الناس ولا يتقشفون لا يظلون بدون زواج ولا يمارسون طقوساً خاصة تشجع الفناء والحلول، لكنهم يحافظون بدقة على تفاصيل الطقوس وهو ما يميزهم ويُظهرهم كرجالٍ متشددين.

يشكّل (الشفيع) ركناً أساسياً من نظام الخلاص الغنوصي حيث الإله أو النبي أو القطب يكون أساساً لشفاعة الأرواح في يوم الحساب أو الآخرة. ويغيب هذا الركنُ من نظام الخلاص المندائي بالمعنى الذي نعرفهُ في الأدب الغنوصي. لكنّ شخصية المخلص، بحد ذاها، يمكن أن تكون شفيعاً، رغم أن هذا الشفيع لا يمكن له أن يقوم بدورٍ خارج عن الحدود فهو لا يستطيع حمل هذه الروح دون المرور بمرحلة الميزان[٧٩] وهو لايستطيع أن يحذف خطيئة واحدة. إنه يقوم بحمل الروح فقط وتهيئة الطريق لها وجعلها لائقة لرحلة العروج القادمة.

"بينما يقف المانا في مكانه ويبحث لنفسه عن توضيحات وشروحٍ

وإذا بمساعده يدلف عليه قادماً

إن مساعده الكبير جاء إليه قادماً

ثم أخذ هذا عدّته ووضع له علامة إرشاد

أخذ هو عدّته ونصب له علامة إرشاد

وفي مقدمة العلامة بنى له سدّاً

إنه كان له مساعداً

إنه كان له هاتفاً

إذا نام غفا أوقظته صلاته

وإذا تعثر وسقط أنهضهُ تسبيحه وأقامه

إذا ضربته السبعة

صارت له قوته الخفية دواءً وشفاءً

إنه أصبح له طبيباً

هو يرفعه عالياً ويضعه على قدميه

إنه يمهد له طريقاً ممهداً (مذللاً)

إنه يبصره ويسوّي له الدرب

ويبني له ممراً لكي يصعد (المانا) إلى مكانه عالياً"[٨٠]

والحقيقة أن السيترولوجيا المندائية تمتلك من الخصوصية ما لا نجد لها مثيلاً في السيترولوجيات الغنوصية وغير الغنوصية الأخرى، ولو أننا دققنا في كلّ أشكال نظامها الخلاصي لوجدناه بكراً جديداً خاصاً بها أولاً.

الهوامش والمصادر والمراجع:

(١) آنو: من أكثر الآلهة أهمية في العصر السومري وكان مقامه في السماء وكان يعد من كبار الألهة مع كل من الالهين انليل وايا، حيث كان يعد معهم من الحكام الوحيدين للكون. ينظر: جورج كونينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق: سليم التكريتي وبرهان عبد التكريتي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة بغداد – ١٩٧٩، ص٤٠١.

(٢) ينظر: هنري فرانكفورت واخرون، فجر الحضارة في الشرق القديم، ص١٧٥–١٧٦.

(٣) ينظر: جورج كونينتو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص٤٤٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٤٤.

(٥) ينظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، ص٧٥

(٦) ينظر: هنري فرانكفورت واخرون، فجر الحضارة في الشرق القديم، ص٢١٩.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٧–٧٨.

(٨) ينظر: جورج لوبيه شمار: المصدر السابق، ص٢٢٥–٢٢٦.

(٩) اسطورة الخليقة: تعرف باسمها البابلي "حينما في العلى" وباللغة البابلية "اينما ايش" أو "حينما عليش" ويرقى زمن اخر جمع وتدوين لها الى اواخر العصر البابلي القديم واوائل العصر الكشي لعله ما بين (١٤٠٠–١٥٠٠ق.م) وتستند الاسطورة البابلية الى اصول سومرية اقدم عهداً.

(١٠) ابسو: تعني المياه العذبة ولدى وادي الرافدين كانت تعتبر مذكراً

(١١) تيامة: تعني المياه المالحة ولدى وادي الرافدين كانت تعد مؤنثاً.

(١٢) ينظر: جورج كونتينو: المصدر السابق، ص١٧٦.

(١٣) ينظر: المصدر نفسه، ص١٤٥.

(١٤) ينظر: طه باقر، ملحمة كلكامش، المصدر السابق، ص١٢٩.

(١٥) ينظر: نائل حنون، المصدر السابق، ص٧٩–٨٠.

(١٦) ينظر: جورج بوبيه شمار، المصدر السبق، ص٢٢٦–٢٢٧.

(١٧) الإكسير: هو ما يلقى على الفضة فيحولها الى ذهب خالص وذلك من حرمانهم.

(١٨) ينظر: فراس السوح، المصدر السابق، ص١٢٩

(١٩) رسم – النجمة – (Ω)، قد استخدم كعلامة تقوم مقام اسم الاله الو – اله السماء– ومقامه، ينظر: جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ص٤١٠.

(٢٠) ينظر: نائل حنون، المصدر السابق، ص٨٥

(٢١) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٢

([٢٢]) ينظر: جورج كونتينو: المصدر السابق، ص٤٤٥.

([٢٣]) ينظر: د.فاضل عبد الواحد علي: من الواح سومر الى التوراة، طباعة ونشر: دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام، الطبعة الأولى – ١٩٨٩، بغداد، ص٢١٦.

([٢٤]) ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش: المصدر السابق، ص٢٢.

([٢٥]) ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش: المصدر السابق، ص٧٧

([٢٦]) ينظر: هنري فرانكفورت واخرون: المصدر السابق، ص٢٤٨.

([٢٧]) ينظر: طه باقر، د.فاضل عبد الواحد علي، د.عامر سليمان: المصدر السابق، ص٢٣

([٢٨]) ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش – أوديسة العراق الخالدة، سلسلة الثقافة الشعبية، وزارة الأرشاد، مطبعة الرابطة – ١٩٦٢، ص٧١-٧٢.

([٢٩]) ينظر: جورج رو: المصدر السابق، ص١٧١.

([٣٠]) ينظر: نائل حنون: المصدر السابق، ص٨٨

([٣١]) ينظر: ليو اوبنيهايم: بلاد ما بين النهرين، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، سلسلة الكتب المترجمة (١٠٤)، وزارة الثقافة والاعلام– الجمهورية العراقية – ١٩٨١، ص٣٣٧.

([٣٢]) ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش: المصدر السابق، ص١١٢.

([٣٣]) ينظر: طه باقر، ملحمة كلكامش– اوديسة العراق الخالدة: المصدر السابق، ص٧٦-٧٩

([٣٤]) ينظر: د.فاضل عبد الواحد غني: الطوفان في المراجع المسمارية، جامعة بغداد، ١٩٧٥، الترقيم الحادي عشر، ص١٧٥.

([٣٥]) ينظر: ليو او ينهايم: المصدر السابق، ص٣٣٨.

([٣٦]) ينظر: كلكامش

([٣٧]) ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش – اوديسة العراق الخالدة، ص١٠٠-١٠١

([٣٨]) ينظر: نائل حنون: المصدر السابق، ص٨٨-٨٩.

([٣٩]) ينظر: نائل حنون: المصدر السابق، ص٨٩

([٤٠]) ينظر: تقى الدباغ، د.فاضل عبد الواحد علي واخرون: المصدر السابق، ص٧١.

([٤١]) ينظر: د.عبد الرضا الطعان: المصدر السابق، ص٦١٣-٦١٤.

([٤٢]) ينظر: طه باقر: ملحمة كلكامش: المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

([٤٣]) ينظر: د. عبد الرضا الطعان: المصدر السابق، ص٦١٤-٦١٥.

([٤٤]) ينظر: المصدر نفسه، ص٦١٥.

([٤٥]) ينظر: نائل حنون: المصدر السابق، ص١٠١.

([٤٦]) ينظر: د.عبد الرضا الطعان: المصدر السابق، ص٦٢٠.

([٤٧]) ينظر: نائل حنون: المصدر السابق، ص١٠٣.

([٤٨]) ينظر: د.فاضل عبد الواحد علي: من الواح سومر الى التوراة، المصدر السابق، ص٢٦١.

([٤٩]) ينظر: السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، ص١٩٤.

([٥٠]) ينظر نائل حنون: المصدر السابق، ص٩٠.

([٥١]) ينظر: طه باقر: مقدمة في اداب العراق القديم: المصدر السابق، ص١٣٦.

([٥٢]) ينظر: كوستاف لوبون: حضارة بابل وآشور، ترجمة الاستاذ المرحوم: محمود خيرت، الطبعة الاولى، المطبعة العصرية – ١٩٤٧، ص٩٨.

([٥٣]) ينظر: السواح، فراس، مغامرة العقل الأولى، ص١٩٤.

([٥٤]) ينظر: جورج رو: المصدر السابق، ص١٥٣.

([٥٥]) ينظر: ليو اوبنيهايم، المصدر السابق،ص٣٤٤.

([٥٦]) ينظر: رينيه لابات: المصدر السابق، ص٣٤٣.

([٥٧]) ينظر: رينيه لابات، المصدر السابق، ص٣٤٣.

([٥٨]) الترميذا، مهند نصرت جاسم، الروح، ص٢٦.

([٥٩]) الترميذا، سلوان شاكر زازي بر انهر، مسقيت سيدرا (تصعيد كنزا)، مجلة آفاق مندائية – العدد ٤٥ السنة الرابعة عشر – نيسان، ٢٠٠٩، ص٥.

([٦٠]) رودولف، كورت، النشوء والخلق في النصوص المندائية، إعداد وترجمة الدكتور صبيح مدلول السهيري، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٤، ص١٨٠.

([٦١]) رودولف، كورت، النشوء والخلق في النصوص المندائية، ص١٨١.

([٦٢]) الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا ١: ١–٥

([٦٣]) كنزا ربّا اليسار: ٣: ٤٢ ص٦٣٢–٦٣٣.

([٦٤]) كنزا ربّا اليسار: ٣: ٣٦، ص٦٢٤

([٦٥]) كنزا ربّا اليسار: ٢: ٢٣، ص٣٢٥

([٦٦]) كنزا ربّا اليسار: ٣: ٤ ص٥٤٨

([٦٧]) كنزا ربّا اليسار: ٣: ٥٢ ص٦٥٠

([٦٨]) كنزا ربّا اليسار: ٢: ٢١، ص٥٢٠

([٦٩]) الليدي، در اور، الصابئة المندائيون (الكتاب الأول) ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، ط٢، مطبعة الديواني، بغاداد، ١٩٨٧، ص١١٢.

([٧٠]) الليدي، در اور، الصابئة المندائيون، ص١١٣.

([٧١]) كنزا ربّا اليسار: ٣: ٥٧ ص٦٥٨-٦٥٩.

([٧٢]) سباهي، عزيز، أصول الصابئة (المندائيون) ومعتقداتهم الدينية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٦٩، ص١٤٦.

([٧٣]) الدهيسي، الديانة الغنوصية، ص١٢٧.

([٧٤]) الجابري، محمد عابد: بنية العقل العربي، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص٢٦٧.

([٧٥]) سباهي، عزيز، أصول الصابئة (المندائيون) ومعتقداتهم الدينية، ص١٤٧.

([٧٦]) كنزا ربا اليسار: ٢: ٢٧ ص٥٣٤

([٧٧]) الدهيسي، الديانة الغنوصية، ص١٢٩.

([٧٨]) كنزا ربا، اليسار، ٣: ١، ص٥٤٣.

([٧٩]) سيوفي، نيقولا، الصابئة عقائدهم وتقاليدهم، ص١٠٦-١٠٧.

([٨٠]) كنزا ربا، اليسار، ٢: ١٢، ص٤٩٤-٤٩٥.